

الشرق والغرب

المصطلح بين المفهوم والتكوين

الأستاذ/ جمال مباركي (*)

الباحث في المعجمات وكتب التاريخ العربية وغير العربية قديمها وحديثها يعثر على مصطلحي الشرق والغرب دون أن تقدّم له مفهومهما وفقاً للإصطلاح الحديث، مما يجعل هذا الثنائي شرق/غرب يتملص من التحديد العلمي الدقيق إلا ما اصطلاح عليه السياسيون والاستعماريون من تقسيم للعالم إلى شرق وغرب، فعربياً لا نجد أثراً لتقسيم العالم إلى شطرين أو كتلتين متعارضتين، ويبدو أن المصطلحين غريبان بامتياز.

فالشرق والغرب مصطلحان مطروحان بقوة في الدراسات الأدبية والسياسية والتاريخية المعاصرة، وهما مفهومان يلتبس كل منهما من عصر إلى عصر آخر -توسعا وانحسارا- بتحديدات فلكية وجيوسياسية وثقافية وعرقية وأيديولوجية واستعمارية، ومن ثم تعددت المشارق والمغارب في المخيال الجمعي لشعوب هذا الثنائي (شرق/غرب). ولم يعد هناك إلا شرق متخيّل وغرب متخيّل.

في الواقع إن الإقرار بالشرق والغرب كفضاءين أو ككيانين حسيين يفصل بينهما خطّ فاصل معيّن مسألة تكتنفها إشكالية من الصعوبة بمكان حلها، إذ أننا نحن العرب- نعلم "مسبقاً أننا متعددون في نظرتنا ولدى كل منا غربه المتخيّل... من الافتتان الكامل به إلى رفضه القاطع، مروراً باستحسانه، أو الارتياح منه تبعاً للعواقب العملية"^(١).

(*) جامعة محمد خيضر - بسكرة - الجزائر

فمصطلح "الشرق والغرب" من المصطلحات التي كثر الحديث حولها في عصرنا الراهن، ولكنها تبقى كغيرها من المصطلحات الشائكة التي تتد على التحديد العلمي، فهل كلمتا "شرق وغرب" يمكن تحديدهما جغرافياً أم سياسياً أم ثقافياً، أما هما طرفان يتميزان بخصوصيات تحدها العقيدة والنوق والمزاج...؟

هناك من الباحثين من فرق بين الشرق والغرب على أساس جغرافي، فمثلاً موسوعة "لاروس" حددت الشرق بأنه "ما كان شرقي البحر الأبيض المتوسط وامتداده إلى إيران وأفغانستان والهند"^(٢).

وحدد الأوروبيون بلاد الشرق (المشرق) بالبلاد "التي تقع إلى شرق أوروبا؛ لأنها هي الجهة التي تشرق منها الشمس بالنسبة إليهم، وعندما اتصلت أوروبا بالشرق إبان الحروب الصليبية أطلق على المسلمين اسم شرقيين... والشرق العربي هو البلاد العربية التي تمتد من مصر إلى إيران، ودعيت كذلك تمييزاً لها عن بلاد المغرب، وهي البلاد التي تمتد إلى ساحل إفريقيا الشمالي إلى المحيط الهندي"^(٣).

وقد يتوسع الشرق — كما يرى أحمد أمين — ليشمل الهند والصين واليابان والاتحاد السوفيتي، وإيران والعالم العربي بما فيه مصر، كما يشمل الغرب أوروبا وأمريكا^(٤).

ويبقى هذ التحديد الجغرافي لدلالة كلمتي "شرق وغرب" نسبية في العالم، فكل منطقة من مناطق العالم العربي أو الغربي يمكن اعتبارها شرقاً وغرباً في آن واحد، بالنسبة لهذا الواقع أو ذاك، فوصف آسيا بأنها شرق وأوروبا بأنها غرب، يرجع إلى أيام كان الناس يحسبون الأرض منبسطة محدودة، ومن بقايا هذه العادة في التفكير، ذلك الوصف الشائع للفلسفات التي نشأت في آسيا بأنها شرقية والفلسفات التي نشأت في أوروبا بأنها غربية، وعلى هذا الأساس هناك اعتراضات كثيرة على هذا التحديد الجغرافي، أهمها

أن في القارة الأوروبية مناطق متعددة يمكن اعتبارها شرقاً وفي الشرق بعض المناطق يمكن اعتبارها غرباً^(٥).

ويرى تييري هنتش في كتابه (الشرق المتخيل) أن الحدود بالذات تشكل عنصراً أساسياً من عناصر إشكالية البحث في قضية "الشرق والغرب"، إذ أنها ليست مجرد قضية مكان، لكننا قضية زمان، وأول سؤال طرحه: متى قام مخيلنا برسم هذا الخط الوهمي شرق/غرب^(٦).

والذين اعتمدوا على التقسيم الزماني في التمييز بين الشرق والغرب رأوا أن "الغرب يدل على معنى المدنية الحديثة بأساليبها الخاصة، كالاقتصاد العلم في كل مرفق من مرافق الحياة، من تربية وزراعة وصناعة واقتصاد ونحو ذلك، ويقابل هذه المدنية غير الحديثة من مدنية مصرية ورومانية ويونانية وغربية وغير ذلك، فالعنصر الأساسي في التقسيم هو الزمن"^(٧).

ويحدد أحمد أمين الشرق والغرب بالخصائص "فالغرب يختص بالتقنم الميكانيكي، والحركات الصناعية والديمقراطية، وتلون أبه وفنه بلون خاص، لون عملي أكثر منه نظرياً، وتقدير النساء ومنحهن كثيراً من الحرية، والشرق يتصف بالتواكل والخضوع للاستبداد، والقساوة في المعاملة، والتقليل من حرية النساء، وكثرة الاعتقاد بالخرافات ونحو ذلك، وحينئذ إذا جرينا على هذا لم يعد للحدود الجغرافية قيمة، فقد تحكم على اليابانيين بأنهم تغربوا؛ أي اتصفوا بالصفات الغربية، كما تحكم على بعض الأوروبيين بأنهم تشرقوا، أي اتصفوا بالصفات الشرقية، وعلى هذا تكون الشرقية والغربية صفات لا حدود جغرافية"^(٨).

يبدو أحمد أمين في هذا التحديد متأثراً بالحالة الراهنة التي كان يعيشها الشرق آنذاك، لذلك ابتعد كثيراً عن الموضوعية، وقدم لنا الشرق قديماً استشرافياً حينما وصفه بكل ما هو دوني وكأن صفات التخلف والتواكل

والخضوع للاستبداد وكثرة الاعتقاد بالخرافات والتقيّد من حرية المرأة من الصفات الثابتة التي يحدّد بها الشرق في حين أن الغرب يحدّد بكل ما هو إيجابي، وهو تحديد يبتعد كثيراً عن الموضوعية.

أما المفكر زكي نجيب محمود فيميز بين الشرق والغرب بالاعتماد على الجانب المادي والجانب الروحاني حيث يرى أن "نظرة الشرق إلى الوجود نظرة الفنان، على حين كانت نظرة الغرب إلى الوجود نظرة العالم، حتى لتستطيع أن تعد الشرق معرضاً كبيراً من معارض الفن، وأن تعد الغرب معملاً كبيراً من معامل العلم... فما من شك في أن المشرق لوناً ثقافياً واحداً تتحد فيه أقطاره جميعاً وهو الروحانية التي ظهرت في أرضه دينا وفناً"^(٩).

ويأتي نسيب الحسيني في بحثه (الغرب المتخيل) ليرى أن الغرب ليس واحداً وفريداً في "حقيقته"، وإنما هناك غرب متعدد الوجود بتعدد رؤانا إليه، وأن الوعي بالغرب لا يحصل دفعة واحدة، شأننا في ذلك شأن إدراكنا لسقوط الإمبراطورية. يتعلّق الأمر بسيرورة حركية تقطعها حوادث عديدة لا وقع موحدًا لها على جميع العرب، غير أن من شأنها تشكيل رؤية الغرب في الوجدان العربي^(١٠).

ولهذا اتخذت كلمتا "الشرق والغرب" معانٍ كثيرة ومتعددة تختلف باختلاف المجال الذي تستعمل فيه، فهي في الفنون والآداب تختلف عنها في السياسة والأخلاق والاجتماع، وهذه جميعاً قد تختلف كثيراً أو قليلاً عن المعنى الجغرافي، فنحن حين نتحدث عن الأديان السماوية نقصد بالشرق مصر وفلسطين وجزيرة العرب، وحين حديثنا عن غير ذلك من الأديان نقصد الصين والهند وما اصطلاح اليوم على تسميته بالشرق الأقصى، وحين يكون الحديث في السياسة نقصد بالشرق عادة روسيا السوفيتية وما يدور في فلكها من البلاد الشيوعية (أوروبا الشرقية)، وحين تكون الفنون هي موضوع كلامنا ينصرف معنى الشرق إلى الفن الفرعوني أو الفن الهندي القديم أو إلى

الفنون الفارسية الإسلامية وما إليها، وليس حتماً أن تتطابق معاني الشرق المتعددة على هذا النحو على معنى الشرق الجغرافي، بل قد يشتمل بعضها مناطق هي من صميم الغرب سرت فيها روح الشرق، وقد يعزل من الشرق مناطق أخرى أقرب في تفكيرها وحياتها من ناحية الغرب^(١١).

فالشرق والغرب متعذرٌ إدراكهما حقَّ الإدراك؛ ذلك أنه إذا اعتبرنا كلاً منهما فضاءً مكانياً يشكل نقيضة للآخر فإننا لا نعثر على حدود دقيقة تفصل بينهما سوى تلك الحدود الجغرافية للمخيلات الشرقية والغربية، وأياً يكن المقياس المعتمد، لن تكون الحدود الجيوسياسية (هذا التجاور الهادئ للألوان على الخريطة) حدوداً قاطعة، طالما أن الأمر متعلق في الواقع بخط وهمي أين يضغه مخيلنا ياترى؟ أفي بحر إيجة أم في الأدرياتيكي؟ أم يتنقل هذا الخط من هذا إلى ذاك حسب الحقب؟^(١٢).

وإذا كان الفضاء الذي يتحرك فيه مفهوم "الغرب" عندنا بهذه الصفة؛ فإن الشرق عند الغربيين مكان جامع لكل الرواسم (الكليشيات)، مرادف لكل ما له صفة الغرابة حفازٌ لشتى التناقضات والمبالغات، أكثر حكمة وأكثر جنوناً، أكثر زهداً وأكثر سهوانية، أكثر فظاظاً وأكثر لباقة، طاعن في القدم، فجر التاريخ وظلماته... واسع شاسع، خرج^(*) نرمي فيه كل ما يفرزه مخيلنا^(١٣).

الشرق عند الشعوب المسماة غربية -كامن في رؤوسهم فقط- يقول تييري هنتش: "لا وجود للشرق خارج رؤوسنا، نحن الغربيين، لا وجود حتى للغرب. فالغرب فكرة تسكننا كما تسكننا فكرة الطرف النقيض. لكنما لا نشعر بالحاجة لأن نعرفه: فنحن الغرب. من نحن؟ الوجه الآخر للشرق؟ آخر الآخر؟ جاذب سحري لفضائنا الداخلي، ومسافة نبّعد فيها عن حدثنا الخرفاء"^(١٤).

إنه لمن العسير تحديد اللحظة أو اللحظات التي اتخذ فيها الغرب والشرق صورتها في مخيال الشعوب؛ فليس من السهل تحديد القرن أو السنة التي انطبعت فيها صورة الغرب في المخيال والوجدان السياسي والفني العربي؛ إنه لضرب من التبسيط سمثلا- إذا قلنا أن كل شيء قد بدأ في العام ١٧٩٨م، تاريخ احتلال نابليون للشاطئ المصري في الواقع، وإن كان متعذرا علينا تعيين اللحظة الدقيقة للتواصل فإن محطات اللقاء مع الغرب هي حقيقة تماما، بحيث يمكن وصف هذا التلاقي بكونه كناية عن لحظات تاريخية متراكمة ومتزامنة مع انحسار وهج الامبراطورية العثمانية مما جعل بعض الدوائر تتأثر بقوة الآخر قبل أن يشيع هذا التأثير في الوجدان الشعبي.

ومن هنا يمكن القول أن إدراك الغرب قد ترافق مع كم هائل من الأحداث والتصورات، ابتداءً بصورة الغرب الميثولوجي (الأسطوري) وصولاً إلى "غرب التحديث"؛ أي "الغرب بمعناه الحقيقي"، أو بالأحرى ذلك الغرب الذي نحيل إليه في الخطاب الأدبي والسياسي والثقافي عموماً في وقتنا الحاضر^(١٥).

لطالما شكل هذا الثنائي (شرق/غرب) القائم على التجاور والتضاد المزمنين، ثابتة في التاريخ المتوسطي، منذ العصور القديمة فشرقي أي غرب تقع عندئذ كبرى الحضارات السومرية والمصرية، وبفعل أي سحر تاريخي شكلت منطقة المتوسط وسطها وعمقها، على الرغم من الانتشار الفنيقي ثم الإغريقي على أطرافه، وبعد انقضاء ألفيات ثلاث، لم يكن البحر هو ما سعى الإسكندر أن يجعله مركز امبراطوريته، إنما بلاد الرافدين، وكان لابد من انتظار روما والحروب البونية لكي يقرن بالمتوسط مدلوله الاشتقائي ألا وهو "البحر الذي يتوسط الأراضي" يا لَزَخَمَ الكلمات التي تغطي الماضي الذي لم تتحت من أجله!^(١٦).

الشرق والغرب ثنائي قائم على التضاد والتجاور "إنها إشكالية نابعة من

ماهيتين أساسيتين متبادلتي التأثير والاختلاط، في السلم كما في الحرب، دون أن يمتزجا بصورة مستدامة. وهما متكاملتان متباينتان فيما بينهما تكامل وتباين الزيت والخل: بوسع خليطهما أن يكون لذياء، وإنما الخط الفاصل بينهما لا بد في نهاية المطاف أن يظهر ثانية- ويبدو أن هذا الفاصل ثابت الوجود منذ القدم. وتسير الأمور كما لو كان الشرق والغرب منخرطين منذ العصور القديمة في مواجهة مضنية لا نهاية لها، شكلت منطقة المتوسط مركزها وساحة الرchy ومجال الفصل بينهما" (١٧).

إذا تقسيم العالم إلى شرق وغرب مسألة ظهرت إلى الوجود منذ القدم، فالمصطلح موجود بالقوة في عمق التاريخ، ولم يظهر وجوده بالفعل إلا في العصور الحديثة على عكس ما يرى بعض الدارسين من أنه "لم يكن ثمة معنى للحديث عن شرق وغرب قبل ظهور نمط الإنتاج الرأسمالي والحضارة الصناعية" (١٨).

فمصطلح (الشرق والغرب) وإن كان حديث الاستعمال والاصطلاح، فهو قديم في مفهومه ودلالته، إذ "كان العالم منذ زمن قديم قوتان تصطرعان وتتازعان السيادة إحداهما في الشرق والأخرى في الغرب، تمثل ذلك في الصراع بين الفرس والروم، ثم في الصراع بين المسلمين والروم، ثم في الصراع بين المسلمين والصليبيين، ثم في الصراع بين العثمانيين والأوروبيين مداً وجزراً، ثم كان آخر فصول هذه الملحمة الصلات بين الشرق ممثلاً في آسيا وإفريقيا، وبين الغرب ممثلاً في أوروبا وأمريكا، وهي صلات متنوعة بعضها ثقافي وبعضها اقتصادي وبعضها سياسي" (١٩).

قد يعود تاريخ هذا الانشطار (شرق/غرب) إلى الحروب الميديّة(*) الأولى بين الفرس واليونان التي تعود إلى أكثر من ألفي سنة خلت، "حيث ذكر شيرادوسا (Shiraz Dossa) أن الخط الفاصل بين اليونانيين المتمدنين و"الشرق" البربري، كان قد تشكّل في الأصل على يد هيرودوتس

(Herodotus) مؤرخ الكفاح البطولي ضد الإمبراطورية الفارسية. وأكد المؤرخ إكزينفون (Xenophon) مساهمته في الدّعوة إلى الهلينية كضرورة اجتماعية، على التّغاير بين اليوناني والبربري. والعالم البربري بالنسبة إلى هذا المؤرخ واسع ومتنوع، إقطاعي وقديم، وقبلي ومتوحش، بينما العالم اليوناني محكم وموحد بحدود البحر، ومتماثل بصفة أساسية في مقاربتّه الحياة. وكان في المعتقد أن البرابرة هم بالطبيعة عبيد، وأن الأساليب البربرية غير مقبولة كلياً لليونانيين المتمدنين، ومن ثم من المستحيل تصور علاقات وثيقة ومتينة بين اليونانيين والفرس، لذلك قال إيزوكراتيس (Isocrates): إن الحرب ضد بلاد فارس كانت حرباً مقدّسة وإنها الحرب الوحيدة المفضّلة على السلام^(٢٠).

ويذهب الطاهر لبّيب -أيضاً- أن في هذا المناخ نفسه نشأت الفلسفة اليونانية الكلاسيكية كمنافى عنيد لأشياء مشرقية، أي تميز فكري سيصبح فيما بعد بياناً على عبقرية الغرب، وهو ما افترض مسبقاً أن المشرق يمثل نفياً، كما يدعو للاحترام الذي يفتقر إليه تماماً.

ولقد ابتدع أفلاطون وأرسطو نوعاً من السياسة تكاد تكون فكرة المجال السياسي فيه مقدّسة، حيث استلزمت تلك الفكرة تمييزاً من الداخل والخارج. وبحسب هذه الصورة، تقع بشائر وإمكانات الإنجاز البشري في الداخل بينما لا شيء هناك في الخارج. ولم يكن الخارج في الحقيقة جزءاً من المعادلة البشرية؛ بل لقد كان الخارجيون حتى في مرتبة أدنى من ضحايا الظلم للخاسرين في الداخل، إذ يفتقر الخارجيون إلى الحساسية الخاصة والصفات الطبيعية والملكات العقلية التي يمتلكها أولئك الموجودون داخل الدائرة^(٢١).

ونستشف من هذا أن فكرة الغرب الحديث المستعطي المتمركز على ذاته الذي يشعر بتضخم الذات لم تنشأ دفعة واحدة، وإنما هي وليدة تراكمات تكدّست فوق بعضها البعض على مرّ العصور، يمتزج فيها الأسطوري بالديني والتاريخي بالسياسي والثقافي بالعرقى.

فالغرب أول ما تأسس بدأ بأسطورة؛ وفي هذا يكتب تييري هنتش "أن فكرة أوروبا بدأت بأسطورة - أسطورة إغريقية يرجح أنها حبكت على نسق سامي: الآلهة عُربة حورية البحر ذات الشقيقات العديداً (بينهن آسيا)، أغراها ثور أشقر انتحل زئس شكله وخطفها فطارت على ظهر الدابة باتجاه كريت ليلقحها خاطفها الإله. ويقال أيضاً إنها أبصرت في حلمها عشية خطفها متنبئة بصراع دار عليها بين يابستين، أرض آسيا والأرض المقابلة لها. وثمة فائدة مجنّية من ثراء رمزية هذا الخطف الخرافي. ثمة فيها ما يناسب تماماً الأيديولوجيا التي يغذيها الغرب عن أصوله وهويته: عُربة المجتابة من بين سواها، آتية من آسيا صاحبة أولى الحضارات الكبرى، خطفت فجأة، وبُلط من موطنها لتستقبل لقاح جوبيتر الذي يحول ذريتها وينذر لها لتلعب دوراً مسيطراً" (٢٢).

ويبدو أن هذه الأسطورة ألّفت لإثبات الانتساب إلى آسيا والخصوصية الإغريقية، ورسخت هذه القصة في المخيال الجماعي واستعادتها الشعوب التي حذت حذو اليونان القديمة، وهي أسطورة صنّعت بادئ ذي بدء الصلة الضرورية بين آسيا واليونان وأوروبا الصلة الأولى هي مجرد تحول انتقالي، بينما العلاقة بين اليونان وأوروبا هي علاقة مستدامة تمتد جذورها إلى أصل مشترك (٢٣).

ويكتب نسيب الحسيني عن الغرب الأسطوري مستبعداً الصيغة الفنيقية التي تُعلّمنا حسب الإغريق أنفهم أن الإله زفس -الذي استحال إلى ثور- اختطف "عرباً" ابنة الملك الفنيقي أغنور من مرج قريب من الشاطئ وحملها إلى جزيرة كريت، (...) وعندما استقر به المقام في كريت عاد إلى شكله الإنساني مرة أخرى وتزوجها. وقد رُزق منها ابناً هو الملك مينوس الملك الكريتي المشترك الشهير الذي وصلت الجزيرة في عهد ملكه الذروة في الرقي والعمران (...) وقدموس هذا كان قد بعث به أبوه ليفتش عن أخت له

تسمى "عربا" خطفها إله إغريقي وهذا الاسم "عربا" -الذي يعني الغرب- أطرق فيما بعد على القارة بأجمعها. وتغزو الأسطورة إلى قدموس شرف إدخال حروف الهجاء -وهو عامل رمزي رفيع- إلى بلاد الإغريق وبناء مدينة طيبة^(٢٤).

أما الغرب التاريخي فيبدأ بالحروب الميديّة بين اليونانيين والفرس، إذ مثلت تلك الحروب إيذانا ورمزا لصراع أساسي امتدّ على آلاف السنين بين أوروبا وآسيا، ومن الواجب أن ينظر إليها الغرب الحديث بإعجاب، إنه "انتصار الذكاء والحرية في الغرب على المادية والاستبداد في الشرق"^(٢٥).

هذا ما يرده كتاب غريغور محدثون كي يمنحوا الغرب الحديث شرف الانتساب إلى الحضارة الإغريقية القديمة، غير أن كتابا آخرين يرون "أن أوروبا لم تكن في ذلك العصر قائمة كمفهوم تاريخي -باستثناء الإحالة إلى أسطورة عربية- فأوروبا لم تكن بالنسبة إلى الإغريق سوى معنى جغرافي بحت. تحدث عنها هيرودتس (القرن الخامس ق.م) باعتبارها منطقة شمالية لا يمكن تمييزها تماما عن سكيثا (Scythie) السهل الروسي"^(٢٦).

وكتب أندريه زيغريد في ١٩٤٣ يقول: "في زمن حضارة اليونان الكبرى كان مركز الكون يقع في جهة المتوسط الشرقيّ باتّصال وثيق مع آسيا، لكن الغرب كان بادئا بتميّزه عن الشرق، والحضارة اليونانية كانت غربيّة. بالمعنى الذي ما زلنا نفهمه اليوم". ثم يواصل قائلا: "إن الإغريق القدماء كانوا قد أصبحوا غربيين أصليين تعارضا مع الفرس؛ يفترض بمارتون^(*) أن تكون بالنسبة إلينا مقصد الحجاج!"^(٢٧).

واللافت في الكتابات التاريخية الحديثة أن العديد من الكتاب لم يطمئنوا إلى هذا الوصل بين الغرب الحديث واليونان القديم؛ فبينما راح العديد من الكتاب الغربيين يدرسون نقاط التشابه والاختلاف بين العقلية اليونانية والأوروبية حتى وجدوا لهذا الانتساب أسبابا ويشدون عليه بحبل الوثائق، نجد

(إندرية إيمار) يتسلف ما يسميه المفارقتين في العصور الإغريقية القديمة ألا وهما: الرقّ وقلة اللجوء إلى الآلة؛ فممارسة الرقّ كوسيلة سهلة عرقلت تطوّر استخدام الآلة في اليونان كما في غير مكان في العصور القديمة. لقد أحسّ هذا الكاتب بخيبة الأمل وهو يكشف عن فروق في العقلية، كما يأسف للآذراء البين الذي كان الإغريق يكونونه للعلوم التطبيقية، فهو يرثى لهذه المجانية في العلم، المناقضة في الجوهر للروح العلمية العصرية، وهو يدين على الخصوص صمت الفلاسفة حيال الرقّ، فلا يعود يتفهم ذلك، أليس محقاً أن يخلص إلى القول بأنّ النهضة قد أعطت تكذيباً للعصور القديمة التي ادّعت الانتماء إليها؟^(٢٨).

من الغرب الأسطوري إلى الغرب التاريخي ها هي أوروبا تحنّ إلى الوحدة الرومانية، بعدما حاولت روما أن تنهل من الشرق عناصر ثقافتها وميثولوجيتها، وهذه الدلالة نستشفها من خلال قراءتنا للإنيافة (L'eneide) للشاعر الروماني الكبير فرجيل، حيث حاول فيها إرجاع أصولها إلى حرب طروادة. ونقلت روما مركز جاذبية البحر المتوسط السياسي والعسكري من وسطه، حيث تموضع قرناً عديدة - إلى منطقة المتوسط الشمالية الغربية، التي كانت لا تزال معزولة مستباحة من قبل شعوب معزولة عن بعضها البعض ومتخلفة في آن. وهو انتقال جاء في أوانه؛ لأنه فتح أمام هذه الشعوب أبواب التاريخ العظيم، وصحح انحراف الاسكندر الذي كاد أن يستنزف فيه أوروبا في الأراضي الشرقية^(٢٩).

واللافت في عهد روما - أن مسألة انتساب أوروبا إليها قد طويت في أذهان المؤرخين، لتصبح روما هي أوروبا، ومن هنا تأتي صعوبة تحديد اللحظة التي ولد فيها مفهوم متلازمان هما: "أوروبا" و"الغرب". ويذهب د. عبد الله إبراهيم إلى أن هذا التلازم من تمخضات تلك الحقبة الطويلة التي يصطلح عليها بـ "العصر الوسيط" التي طوّرت جملة من

العناصر الاجتماعية والدينية والسياسية والثقافية، فاندمجت لتشكل "هوية" أوروبا^(٣٠).

هذا ما يقوله أيضًا ميشال دوفيز "أن أوروبا على الصعيد التاريخي "إبداع من العصر الوسيط" أما جغرافيًا فهي "مجموعة أراضي" وردت الإشارة إليها في تضاعيف مدونات سترابون وبطليموس وبلين وغيرهم. كانوا يتحدثون عن الأرض التي ستصبح "أوروبا"، ويعينون لها حدودًا، ولكن ليس ثمة بعد أوروبيون: الصفة (أوروبي *Europeanus*) غير مستخدمة، بينما نجد (إفريقي *Africanus*) أو (آسيوي *Asiaticus*) تسمية لرجل أصله من المغرب أو من الأناضول"^(٣١).

ويوعز أحد الباحثين غياب صفة أوروبي التي تعبر عن الهوية إلى أن "أوروبا" آنذاك كانت منقسمة إلى قسمين متناقضين: "عالم روماني" و"بلاد بربرية" الأمر الذي يحول دون اجتماعهما في الفكر، ذلك أن الرومان لم يلتفتوا إلى "الغرب"، فقد كان طموحهم يتجه إلى تشكيل "قارة رومانية" قلبها من الماء. ولهذا كان يصطلح دائمًا على البحر الأبيض المتوسط، بأنه "بحرنا"، كما سمّته العرب "بحر الرّوم".

وهذا التركيب الجغرافي للإمبراطورية الرومانية كان بمعنى من المعاني خرقًا وتمزيقًا لمفهوم "أوروبا" الجغرافي. وطال الحال على ما هو عليه إلى أن استجدّت، إبان القرون الوسطى، تحديات خارجية، أسهمت بشكل مباشر في رتق حالة التمزق، فحصل تقارب بين "أوروبا الرومانية" و"أوروبا البربرية"^(٣٢).

أين هو الشرق - إذا - في هذه الخريطة؟

بعدما أصبح المتوسط مركز العالم الغربي، الشرق باقٍ حيث يجب أن يبقى: أي خارج روما وما وراء الضفاف الجنوبية والشرقية "لبحرنا"

(Mare nostrum). يقول هانتش: "ما زالت هذه الصورة الغربية عن وحدة المتوسط، تسكننا حتى اليوم، والشقوق العديدة التي تعرضت لها منذ ذلك الحين تشوه بنظرنا المشهد السياسي الوحدوي الذي تركت لنا روما أثراً له في نفوسنا"^(٣٣).

يحدثنا أحد الكتاب الغربيين أنه بعد وفاة تيودور (٣٩٥م) أدى التمييز شرق/غرب إلى تقسيم الإمبراطورية الرومانية إلى كيانين سياسيين مستقلين، بعدما توحدت شعوبها المتوسطية في علاقة عضوية متواصلة من خلال اقتصاد إمبراطوري أسسوه لمصلحة المركز^(*). إنه تقسيم إداري متطابق مع توزيع السلطات بين حملة لقب أوغست وحملة لقب قيصر. ولم يكن شرق العالم الروماني سوى أحد المناطق الإدارية الأربع للإمبراطورية. والأهم أن هذا القسم الشرقي (الشرق) قد اعتبره الإمبراطوران فاليريان وديوكليسيان (نهاية القرن الثالث الميلادي) القسم الأكثر أهمية. إذ أنهما قد احتفظا به لذاتهما عاهدين إلى غاليان في عهد الأول وإلى ماكسيمليان في عهد الثاني إدارة شؤون إيطاليا. وفي القرن الرابع، عندما رستخ قسطنطين الأكبر من جديد وحدة الإمبراطورية الإدارية تحت سلطته الوحيدة. فقد حدد مركزه الحيوي في (بيزنطة) التي صارت القسطنطينية فيما بعد، وقد شكل عهده علامة على بداية حقيقة للإمبراطورية الشرقية. أما إيطاليا فقد شهدت مذاك تسارعا في تدهورها، وانتقل مركز دنيا الرومان الاقتصادي والسياسي والثقافي باتجاه الشرق^(٣٤).

والسؤال الذي أريد طرحه: أليس للشرق حق الانتساب إلى الرومان إذا أراد ذلك؟

لقد مثل انزلاق الحضارة الرومانية نحو الشرق خيبة لدى المؤرخين الأوروبيين من أمثال "جيبون"، لأنها تطعن بشدة في فكرة الاستمرارية التي يحلو للغربيين أن يحددوا موقعهم منها في علاقتهم مع العصر الإغريقي

اللاتيني القديم، لأنها لا تعود مقبولة، خاصة وأن ما ينتسبون إليه يكون قد أفسده احتكاك المشرق الموهن يقول هنتش "وطالما أن عصر الوحدة والكونية الرومانيتين قد قفل فلم يعد للتعارض شرق - غرب سوى الظهور على أشده من جديد.. ومما لا شك فيه، أنه، في القرن السادس، لا الغرب ولا أوروبا كانا موجودين كمفهم تاريخي، البربرية كان ورثة روما وأثينا "الحقيقيون" يحضرون أنفسهم" (٣٥).

وحتى لا يأفل التعارض شرق/غرب بدأ التحيز على أشده من جديد لتوحيد أجزاء الإمبراطورية الرومانية المنقسمة، وعنصر التوحيد والاستمرارية هذه المرة مهم في مجمل العالم المتوسطي إنه عنصر الدين المسيحي، إذ "أن انتشار المسيحية في أوروبا بدأ يعرف منذ القرنين الرابع والخامس الميلاديين، وهو انتشار بطيء اقتصر في معظمه على الشريط الجنوبي لأوروبا. ويمكن القول تجوزاً أنه شاع أول الأمر، فيما كان يسمى من قبل "أوروبا الرومانية" وفي القرن العاشر أمكن استكمال مشروع تنصير "أوروبا البربرية" التي يمكن اعتبارها، بصورة عامة سلف "أوروبا الغربية" بالمفهوم الحديث وطبقاً للشروط الجغرافية" (٣٦).

وقبل انشطار الإمبراطورية نهائياً وقعت حرب الخلافة الرومانية؛ فبينما كانت المسيحية في الشرق تشكل عنصراً مهماً بيد الإمبراطور، تمكنت الكنيسة في الغرب من الاستمرار والترسخ بالرغم من الغزوات الكبرى، لا بل حتى عبرها وتمتعت الكاثوليكية الرومانية باستقلالية لم يتمتع بها الاكليروس، وشكلت السلطة المركزية الوحيدة بالنسبة للعالم الغربي. في هذه الأثناء لم تتوان روما البابوية عن تثبيت نفسها عاصمة المسيحية في العالم، والورثة الحقيقية لعظمة الإمبراطورية الرومانية ورسالتها، وبذلك اصطدمت الكنيسة بطموحات "القيصر بابوية البيزنطية التي لم تتخل عن ترميم وحدة المتوسط وشمولية الإمبراطورية الكونية تحت هيمنتها، ودخلت

المسيحية نفسها فى خلاف حول مسألة الخلافة ، ومثل هذا نزاع شرق _ غرب ، نزاع مازالت رهاناته تلقى بظلالها على العمل التاريخي الأوربي المعاصر. وطرح السؤال المدهش "مَنْ مِنَ الاثنين يستطيع شأهرًا شرعية أكبر، الادعاء لنفسه شرف الانتساب إلى الإرث الروماني أهو الشرق أم الغرب؟ مدهش هذا السؤال لأن الجدل حوله مستمر حتى يومنا الحاضر^(٣٧).

وبعد ظهور الدولة العربية الإسلامية (القرن الثامن الميلادي) أخذ مدلول الشرق في التبدل، خاصة وأن هذه الدولة قد ورثت معظم التركة الرومانية التي كانت قد انتقلت إلى الإمبراطورية البيزنطية، ومن ثم سيصبح الإسلام رمزًا للشرق، ومفهوم الشرق مرتبط بمدى انتشار الدين الإسلامي، خاصة أثناء الحروب الصليبية، ذلك "أن الصورة الأقوى المنقولة على مرّ القرون هي صورة ذلك العدوان المحموم على الإسلام... شنة مسيحيون متعصبون قلموا بحرًا من الطرف الآخر لحوض المتوسط، مترجلين من خلف القسطنطينية. في وسعنا نفهم أن تكون تلك الصورة هي الأقوى، طالما أن الإسلام كان سائدًا منذ أربعة قرون في المنطقة المغزوة، وأن الغزاة أفصحوا عن عزمهم على تحرير كنيسة القيامة من برائن المسلمين"^(٣٨).

والواقع أن الإسلام الأول^(*) لم يعرف مفهوم الغرب، إلا أن انتشار الإسلام السريع (في القرنين السابع والثامن الميلادي) بدّل جغرافية المتوسط السياسية والدينية تبديلاً مستدامًا، "إذ لم يحصل في تاريخ حوض البحر الأبيض المتوسط أن شهدت المنطقة توسعًا لإمبراطورية ما بالسرعة والمدى الذين ميّزا الفتح الإسلامي. هذا ما يثبتهُ المؤرخون والسياسيون وخبراء الاستراتيجية، انتشر الإسلام في ثلاث قارات في أقل من قرن. وفرض نفسه على الثقافات والمرجعيات السائدة في هذه الفضاءات بكل الطرق الممكنة، وغدا تحديًا جديدًا أمام أكثر من إرادة للقوة، سيّما تلك التي كانت لها الغلبة

على صعيد الشرق الأدنى والبحر المتوسط، وعلى رأسها الإمبراطورية البيزنطية والرومانية^(٣٩).

في هذا الموعد بدأت دلالة الشرق والغرب تتضح أكثر من أية وقت مضى وإن لم يستخدم المصطلح كما نفهمه اليوم - هذا الوقت تعود إليه تاريخ الصور الأولى، الصور المؤسسة التي تكونت لدى المسيحية في الديانة المنافسة - واستمرت هذه الصور تؤثر اليوم في الرؤية الغربية المتوسطية إلى الشرق المتوسطي الذي أصبح على مرّ الزمن، بالنسبة إلى أوروبا الحديثة "الآخر" بامتياز.

وهذا الاحتكاك بين المسيحية الجرمانو-لاتينية بالعالم العربي الإسلامي ولّد ما نستطيع تسميته اليوم الغرب التاريخي الديني؛ إنه صدام ديانتين مسلحتين تتعارض الواحدة مع الأخرى؛ صدام نجم عنه غرب قروسطي مدرك لخصوصيته أمام اكتشاف ما قد ظهر له مسبقا على أنها غريبة جذرية. من هذه اللحظات بدأت إرهاصات مقولة (الشرق والغرب) أو (الذات والآخر) تأخذ منحى أكثر حدة؛ فمن جهة عملت الاندفاع الإسلامية على بلورة وعي إسلامي بالذات، وصاغت صورها عن الآخر، كما تعاملت مع "الآخر" من موقع التفوق والافتدار، كدين وثقافة وحضارة، ومن ناحية أخرى اعترضت هذا الاختراق الإسلامي للقارات المحيطة بالبحر مقومات هائلة، مثلت البؤر المسيحية أهم التحديات التي واجهته، وبشهادة كل الباحثين "قبا" إخفاق الجيوش الإسلامية في الاستيلاء على القسطنطينية سنة ٧١٩م وهزيمة "بواتيه" عام ٧٣٢م لم يسمحا للمسلمين من أن يجعلوا من المتوسط تلك البحيرة الإسلامية التي لربما كانوا يحلمون بها^(٤٠).

هاتان اللحظتان مواجهة القسطنطينية للتمدد الإسلامي، ومعركة "بواتيه" اعتبرت من الوجهة الغربية بمثابة حدثين تاريخيين حاسمين أفقذا أوروبا من الإسلام وأعطيا فرصة استثنائية للاحتفاظ بشمال المتوسط لاتخاذ قاعدة

استراتيجية الرد، ولتنظيم هجوم مضاد سيترك آثاراً عميقة على مختلف العلاقات التي ستشهدا المنطقة بين الإسلام والمسيحية، بين العرب والغرب^(٤١).

في هذا الوقت "ستنظم المسيحية أكبر هجوم مضاد على الإسلام في القرون الوسطى من خلال الظاهرة الصليبية. ستستنفر المسيحية كل الطاقات والإمكانات وستعبي كل الوسائل المادية والرمزية، وستؤجج المشاعر وتحرك المخيلات لتنظيم أكثر الحملات المضادة قوةً وعنفاً لاستعادة ما نعت "بالأماكن المقدسة" ولضرب الإسلام في أكثر مناطقه اقتراباً وحيوية"^(٤٢).

إلى هنا سيبترك شرق جديد في المتخيل الجمعي للعالم المسيحي إنه "شرق الصليبيين" هذا "الشرق" الذي بدأ على شكل تخيل قبل أن يصبح واقعاً متجسداً بالحملات الصليبية نفسها. المتخيل تحرير الأرض المقدسة منسوق مع رغبة ضبابية في وطء فردوس مستتر "الفردوس المتخيل مكان يقع في مناطق الشرق"، هذا المتخيل سيستمر دون تغيير طيلة العصر الوسيط المسيحي، و"على الطريق المؤدي إلى الفردوس، ها هي القدس الأسطورية، مدينة الآلام، هاهو شرق الروع الغربي وقبلة الكنائس...

كانت الرحلة لا يدركون عن شروطها شيئاً البتة، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالذكريات التوراتية وصولاً إلى المرحلة النهائية، حيث لم يعد بالإمكان التمييز جيداً بين القدس الدنيوية والقدس السماوية"^(٤٣).

وفي موجة التوسع الإسلامية الثانية فتح المسلمون القسطنطينية سنة ١٤٥٣م ووصلوا خلال القرن الخامس عشر الميلادي إلى مشارف أوروبا الغربية، وحاصروا فينا سنة ١٥٢٩م، إلى هذا التاريخ لم تعرف الأدبيات العربية مصطلح الغرب بالمعنى الذي نفهمه اليوم، فهذا المصطلح كان

موجودًا بالقوة ولم يكن موجودًا بالفعل -على حد التعبير الفلسفي- ومن المصطلحات التي كان ينعث بها الغرب في أدبيات العرب مصطلح الإفرنج (الفرنجة)، ودار للكفر، ودار الحرب، في مقابل "دار الإسلام".

ويبدو لي أن تاريخ سقوط غرناطة في الأندلس سنة ١٤٩٢م الذي يتزامن مع تاريخ اكتشاف أمريكا من طرف كريستوف كولمبس يمثل اللحظة التي انشطر فيه العالم إلى شطرين مختلفين ثقافيا هما (الشرق والغرب)، بالإضافة إلى محطات تاريخية سياسية تمثل للسيرورة الممتدة من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين، معركة ليبانت (Lépante) ١٥٧١م، إلى معاهدة سيفر (Sèvres) ١٩٢٠م. هاتان اللحظتان الرمزيتان الممثلتان لبداية نهاية حقبة هزائم منيت بها الإمبراطورية العثمانية أمام القوى الأوروبية. يمثلان الإدراك التدريجي لوجود "غرب التحديث"، إنه الموضوع المركزي الذي يصبح ملازمًا لنظرة الغربي للغرب في القرن العشرين والواحد والعشرين^(٤٤).

وفي رأي تودوروف أن الحدث الرئيس الذي أسس لهوية الغرب الحديث يتمثل في الاكتشافات الجغرافية الكبرى، يقول: "لا يوجد تاريخ أنسب لتمييز العصر الحديث من عام ١٤٩٢م، العام الذي يعبر فيه كولومبوس المحيط الأطلسي، ونحن جميعا الأحفاد المباثرون لكلومبوس بقدر ما لكلمة "بداية" من معنى^(٤٥).

وترافقًا مع هذه الاستكشافات الغربية توسع مفهوم الشرق جغرافيًا وزمانيًا إلى مدى بعيد؛ يتجاوز نطاق العالم العربي الإسلامي، وأدى هذا التوسع إلى نقل الشرق عن موضعه الديني إلى عالم أكثر انفساخًا، حيث قل الاعتماد على الخرائط والأطر النصية الكنسية التي كانت تستخدم في تحديد الشرق وأهله^(٤٦)؛ إذ لم يعد الشرق جوهرًا هو الإسلام أو البلاد التي خرج فيها الأنبياء التوراتيون، بل تعداها ليشمل أبعادًا جغرافية تتزايد اتساعًا

كالهند والصين، وأما إذا زمانية أكثر غورًا كسومر والبوذية والسانسكريتية والزرادشتية والمانوية، ومن ثم تعددت تسميات الشرق واتسع فضاءه: الشرق الأدنى (القريب)، والشرق الأقصى (البعيد)، والشرق النقيضي، والشرق الجغرافي...

لقد شكل سقوط غرناطة على يد إسبانيا الكاثوليكية ومن ورائها كنيسة روما سنة ١٤٩٢م حدثًا تاريخيًا مفصليًا في تاريخ الصراع بين العالمين الأوروبي والإسلامي لا يقل أهمية عن حدث فتح القسطنطينية عام ٤٥٣م، الذي يمكن اعتباره مفتاح فهم الإمبراطورية البيزنطية ومن ورائها المدن الإيطالية. أما سقوط غرناطة فإنه يشكل مفتاح فهم صعود مناطق غرب أوروبا وفي طليعتها إسبانيا الكاثوليكية، فكما قيد سقوط القسطنطينية يد الكنيسة في الشرق فإن سقوط غرناطة قد حرّر يدها في الغرب^(٤٧). وبذلك خرجت أوروبا من العصر الوسيط حينما أظهرت الإنلجنسيا إلى الوجود حسًا جديدًا من خلال الفن والأدب والفلسفة والعلم، وبدأت الروى والتصورات الجديدة تتعارض مع تلك الموروثة، وانحسر نفوذ الكنيسة، وأصبح الاتصال بالماضي اليوناني والروماني محكومًا بعلاقة متحررة من سلطة التقاليد والكنيسة، ثم تفجرت الثورة العلمية التي استبدلت بكثير من المعتقدات أخرى جديدة، وأصبح العالم مجالًا للممارسة العقلية الغربية^(٤٨).

ومن هنا بدأت فكرة الغرب الكوني الشمولي المتمركز حول ذاته المرتكز على معطيات العقل والعلم. يرى ديكارت أن البناء العلمي الذي تشيده أوروبا من أجل العالم كافة، ومنفعة التفلسف لها أهمية كبيرة؛ لأنها وحدها "تميزنا عن الأقوام المتوحشين والهمجيين"^(٤٩)، ومن مميزات العقل الغربي الذي تميزه عن غيره من الأجناس العلم والتفلسف، وأن "البنية الذهنية للأوروبيين لا ترضى حقًا إلا بمبادئ واضحة وجلية تقضي سلسلة استنتاجات إلى نتائج تفرض نفسها بجلاء"^(٥٠).

أما الشرق فإنه يتلوّن بتلوّن عصور الغرب، والسؤال الذي يطرح من جديد ويستمر في الطرح: في أي لحظة وفي أي مكان تم ضبط هذين المصطلحين (شرق/غرب) بالمفهوم الذي نفهمه الآن؟

في الواقع أن الشرق والغرب لا يدركان دفعة واحدة، فهناك رحلة طويلة قطعها المخيال الأوروبي لصياغتهما حسب مفهومه الخاص؛ فمن مصطلح الشرق الأسطوري القديم شرق السحر والغرائبية إلى شرق الصليبيين ثم شرق الاستبداد والخمول، وصولاً إلى شرق الأنوار والحداثة وانتهاءً -الآن- بشرق القلق، وفي كل مرة تصنع جغرافية (جيوبوليتيكية) وحدود ثقافية وابستمولوجية قسمت العالم إلى مركز وأطراف، إلى متن وهوامش "استناداً إلى اختراع خرافة "الغرب الأبدي" المضاد لـ "الشرق الأبدي"، وقد كان هذا الاختراع المزدوج ضرورياً من أجل تأكيد غلبة عناصر التطور المستمر في "الغرب" وغلبة عناصر الثبات في "الشرق" (٥١).

هكذا بدأ مفهوم الشرق عند الغربيين وتبلور في أذهان مثقفيه، ثم نقلوه بعد ذلك إلى الشعوب ليرسخ في مخيلاتها؛ فهناك جملة من التعريفات التصنيفية للشرق ترتكز على النسب العرقي والتفاوت العنصري والفكري بين الكيانين الشرق والغرب، فقد كتب "إرنست رينان" (١٨٢٣-١٨٩٢) للقول بعدم المساواة الوجودية بين الشرق والغرب. وتقدير الآرية التي تتميز في زعمه بخصائص لا توجد عند الشرقيين (٥٢).

ومجمل القول: أن مصطلح "الشرق/الغرب" اختراع غربي تتبع مفاهيمه المختلفة وظلاله المشوشة من تعاقب المراحل التاريخية والثقافية التي مر بها ميلاد الغرب ومرّ بها وعيه بذاته، وهكذا بدأ يعلن صراحة عن مصطلح "الغرب" في الأدبيات الغربية ابتداءً من النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي؛ أي بعد فتح السلطان العثماني محمد الفاتح

القسطنطينية سنة ١٤٥٣م، أما مصطلح "الشرق" فكثير تداوله وبدأ يستهلك على نطاق واسع في المدونات الغربية قبل حملة نابليون على مصر سنة ١٧٨٩م^(٥٣).

ونفهم من هذا أن انشطار العالم إلى "شرق وغرب" تقسيم سياسي وثقافي واستعماري، ويعنون "بالغرب" أنفسهم، و"بالشرق" أهل آسيا وإفريقيا الذين كانوا موضع استعبادهم واستغلالهم، وفي أذهانهم أن العالم منذ زمن قديم قوتان تصطرعان وتتازعان السيادة إحداهما في الشرق والأخرى في الغرب، تمثل ذلك في الصراع بين الفرس والروم، ثم في الصراع بين المسلمين والروم، وأخذ هذا التقسيم يتضح أكثر في الصراع بين المسلمين والصليبيين، وازداد وضوحًا قبل وأثناء الاستعمار الحديث للبلدان العربية والإسلامية وما زال الراهن العالمي يعيش هذا التقسيم.

ونتيجة لهذا الاختلاف الثقافي والجغرافي -بدا كما يقول د. طه حسين "أن هناك في الأرض نوعين من الثقافة يختلفان أشد الاختلاف، ويتصل بينهما صراع بغيض، ولا يلقي كل منهما صاحبه إلا محاربًا أو متهبًا للحرب"^(٥٤).

أما "الغرب" في تصورنا نحن العرب والمسلمين، بل في تصور الآخر الغربي نفسه، هو ذلك العالم المتقدم علميًا، الليبرالي العلماني المسيحي الذي تعود جذوره إلى الإغريق، ومن الممكن تجاوزًا أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية آخر غربيًا بالنسبة إلينا -نحن العرب- والآخر الصهيوني يمثل جزءًا من الآخر الغربي، على أساس أن الصهيونية هي امتداد للوجود الاستعماري الغربي عسكريًا وبشريًا في المنطقة العربية، وقامت على أيدي الغرب ورعايته^(٥٥).

• حواشي البحث:

- (١) نسيب الحسيني: الغرب المتخيل (رؤية الآخر في الوجدان السياسي العربي)/ ترجمة غازي برؤ/ ط١/ المجلس الأعلى للثقافة/ القاهرة/ ٢٠٠٤/ ص ١٦.
- (2) - La Grande Encyclopedie Larousse, Tome I, Vol 4, Librairie Larousse, Paris-1975- P.8250.
- (٣) أحمد عطية الله: دائرة المعارف الحديثة/ ط١/ مكتبة الأنجلو المصرية/ القاهرة/ ١٩٥١/ ص ٣٤٠.
- (٤) ينظر: أحمد أمين: الشرق والغرب/ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر/ القاهرة/ ١٩٥٥/ ص ٨.
- (٥) ينظر: حسن بن مالك: الصراع بين الشرق والغرب في الرواية المصرية/ رسالة ماجستير/ إشراف ثنائي د. إبراهيم عبد الرحمن محمود و د. يحيى إبراهيم عبد الدايم/ كلية الآداب جامعة عين شمس/ (١٩٨٩-١٩٩٠)/ ص ٢. نقلا عن: همايون كثير/ العلم والديمقراطية والإسلام/ ترجمة عثمان نوبة ومراجعة د. محمد مصطفى حلمي/ ص ١١٣.
- (٦) ينظر: تيري هنتش: الشرق المتخيل (رؤية الغرب إلى الشرق المتوسطي)/ ترجمة غازي برؤ و خليل أحمد خليل/ ط١/ دار الفارابي/ بيروت/ ٢٠٠٤/ ص ١٣.
- (٧) أحمد أمين: الشرق والغرب/ ص ٩.
- (٨) أحمد أمين: المرجع نفسه/ ص ٨.
- (٩) زكي نجيب محمود: الشرق الفنان/ الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة/ ١٩٨٥/ ص ١٣، ١٤.
- (١٠) ينظر: نسيب الحسيني: الغرب المتخيل/ ص ١٦، ٧٤.
- (١١) ينظر: محمد حسين هيكل: الشرق الجديد/ دار المعارف/ القاهرة/ ١٩٧٧/ ص ٧.
- (١٢) تيري هنتش: الشرق المتخيل (رؤية الغرب إلى الشرق المتوسطي)/ ص ١٣.

- (*) (خرج: وعاء.
- (١٣) ينظر: المرجع نفسه/ ص ٩.
- (١٤) المرجع نفسه/ ص ٩، ١٠.
- (١٥) ينظر: نسيب الحسيني: الغرب المتخيل (رؤية الغرب إلى الشرق المتوسطي) ص ٧٣، ٧٤.
- (١٦) ينظر: تبييري هنتش: الشرق المتخيل/ ص ٢٤.
- (١٧) المرجع نفسه/ ص ٢٣.
- (١٨) جورج طرابيشي: شرق وغرب، رجولة وأنوثة (دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية)/ ط ١/ دار الطليعة/ بيروت/ ١٩٨٨/ ص ١٩١.
- (١٩) محمد محمد حسيني: الإسلام والحضارة الغربية/ ط ٧/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ ١٩٨٥/ ص ٧.
- (*) الحروب الميديّة الأولى (٤٩٤-٤٩٠ ق.م) بين الفرس واليونان، أشهر معاركها معركة مارتون التي انهزم فيها الفرس (٤٩٠ ق.م).
- الحروب الميديّة الثانية (٤٨٠-٤٤٩ ق.م) من أشهر معاركها معركة سلامينا (٤٨٠ ق.م) انهزم فيها الأسطول الفارسي.
- (٢٠) الطاهر لبّيب: صورة الآخر (العربي ناظرًا ومنظورًا إليه)/ ط ١/ مركز دراسات الوحدة العربية/ ص ٦٠، ٦١.
- (٢١) ينظر: الطاهر لبّيب: صورة الآخر (العربي ناظرًا ومنظورًا إليه)/ ص ٦١.
- (٢٢) تبييري هنتش: الشرق المتخيل.
- (٢٣) تبييري هنتش: المرجع نفسه/ ص ٣٢.
- (٢٤) ينظر: نسيب الحسيني: الغرب المتخيل/ ص ٣٩، ٤٠.
- (25) – Amir Mehdi Badi: Les Gress et Les Barbares, L'autres Face de L'histoire, Lausanne, Payot, 1963, tome, 1, p.12.
- (26) – Denis de Rougement: Vingt huit siecles d'Europe, La Conscience européenne à travers les texte d' Hésiode à nos Jours, Paris, Payot, 1961, p.38.

(*) مارتون: من أشهر معارك الحروب الميديّة الأولى بين الفرس واليونان، انهزم فيها الفرس (٤٩٠ ق.م).

(27) – André Siegfried: Vue Générale de la Méditerranée, Paris, Gallimard, 1972, (10e ed) p.14 et 179.

(٢٨) ينظر: تييري هنتش: الشرق المتخيل/ ص ٣٦، ٣٧. نقلا عن:

- André Aymard: Post face a L'histoire général du travail-tome 1, Nouvelle Libraire de France, 1962. p.377.

(٢٩) ينظر: المرجع نفسه/ ص ٤٠، ٤١. نقلا عن:

- André Aymard et Jeannine Au Boyer: Rome et son empire, Paris. P.٤.F, 1954. p. 81

(٣٠) عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف: المركزية الغربية (إشكالية التكون والتمركز حول الذات)/ ط١/ المركز الثقافي العربي/ الدار البيضاء/ المغرب/ ١٩٩٧/ ص ١٤.

(٣١) ميشال دوفيز: أوروبا والعالم في نهاية القرن الثامن عشر/ ترجمة بشير السباعي/ دار سيناء/ القاهرة/ ١٩٩٢/ ص ١١.

(٣٢) ينظر: عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف: المركزية الغربية (إشكالية التكون والتمركز حول الذات)/ ص ١٤.

(٣٣) تييري هنتش: الشرق المتخيل/ ص ٤٠.

(*) لقد سعت روما لمحو كل الفوارق التي طبعت في البداية حوضي المتوسط (باستثناء قرطاجة).

(٣٤) تييري هنتش: الشرق المتخيل/ ص ٤١، ٤٢.

(٣٥) المرجع نفسه/ ص ٤٥.

(٣٦) عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف: المركزية الغربية (إشكالية التكون والتمركز حول الذات)/ ص ١٤.

(٣٧) ينظر: تييري هنتش: الشرق المتخيل/ ص ٤٥، ٤٦.

(٣٨) نسيب الحسيني: الغرب المتخيل (رؤية الآخر في الوجدان السياسي العربي)/ ترجمة غازي برؤ/ ص ٥٨.

(*) الإسلام في مطلعته الأول أي في حياة النبي (ص) وحتى أفول عصر خلافة المدينة مع مصرع علي (٦٦١م).

(٣٩) محمد نور الدين أفاية: الغرب المتخيل (صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط) ط١/ المركز الثقافي العربي/ الدار البيضاء/ المغرب/ ٢٠٠٠ ص ١٢٣.

(٤٠) محمد نور الدين أفاية: المرجع نفسه/ ص ١٢٥. نقلا عن:

- Christopher Dawson: Les origines de l'europe et de la civilization europieenne, Edition Rieder, Sano date ni lieu d'edition, p. 145.

(٤١) ينظر: المرجع نفسه/ ص ١٢٥، ١٢٦.

(٤٢) المرجع نفسه/ ص ١٢٦.

(٤٣) ينظر: تييري هنتش: الشرق المتخيل/ ص ٦٩. نقلا عن:

- Claud Cahen: Orient et occident au temps de croisades, Paris, Aubier-Montagne, 1983, p. 69.

(٤٤) نسيب الحسيني: الغرب المتخيل (رؤية الآخر في الوجدان السياسي العربي) ص ٧٤.

(٤٥) ترفتان تودوروف: فتح أمريكا ومسألة الآخر/ ترجمة بشير السباعي/ دار سيناء/ القاهرة/ ١٩٩٢/ ص ١١.

(٤٦) ينظر: باقر برّي: إضاءات على كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد/ ط١/ دار الهدى/ بيروت/ ٢٠٠٢/ ص ٤١.

(٤٧) ينظر: حسن الضيقة: دولة محمد علي والغرب (الاستحواذ والاستقلال) ط١/ المركز الثقافي/ الدار البيضاء/ المغرب/ ٢٠٠٢/ ص ٢٤.

(٤٨) ينظر: عبد الله إبراهيم: المركزية الغربية (إشكالية التكون والتمركز حول الذات) ص ١٧.

(٤٩) ديكارت: مبادئ الفلسفة/ ترجمة عثمان أمين/ دار الثقافة/ القاهرة/ ١٩٧٩/ ص ٤٨.

- (٥٠) ميشال دوفيز: أوروبا والعالم في نهاية القرن الثامن عشر/ ترجمة إلياس مرقص/ ص ٢٠.
- (٥١) سمير أمين: نحو نظرية للثقافة/ معهد الإنماء العربي/ بيروت/ ١٩٨٩/ ص ٧٥.
- (٥٢) ينظر: محمد الأمين مغلي: منهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب/ ص ٣٢-٣٥.
- (٥٣) ينظر: الأيوبي سمية: صورة الغرب في الشعر العربي الحديث (١٩٤٥-١٩٧٠)، رسالة ماجستير/ جامعة حلب/ سوريا/ ٢٠٠١-٢٠٠٢/ ص ٧٩.
- (٥٤) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر/ ط١/ دار المعارف/ القاهرة/ ١٩٤٤/ ص ١٣.
- (٥٥) ينظر: الأيوبي سمية: صورة الغرب في الشعر العربي الحديث (١٩٤٥-١٩٧٠)/ ص ٧٩.

